من تراب الطريق (٧٠٢)

مصيبة برامج (*) « التوك شو »

ظنى أن برامج التوك شو ، مع كامل احترامى لحرية الإعلام ، وحرية الرأى والتعبير ، قد باتت مريضة بأمراض سقيمة تضر بالوطن والمواطنين، وتزرع السطحية والعصبية والجهالة والتخلف ، وتأتى هذه الأسقام وغيرها من أهداف هذه البرامج الساعية إلى جلب الإعلانات وما يقتضيه ذلك من إثارة بغض النظر عن القيمة والموضوعية، ويأتيها أيضًا من بعض القائمين على تقديم هذه البرامج من ضحالة ، مثلما تأتيها من استضافات كثيرة منها ما هو دون المستوى ، أو مكبلة بأغراض وتوجهات مشدودة بها وتسعى إليها ، مما ينعكس على جمهور المتلقين المعزولين عن المساهمة المستسلمين للاستقبال الذى يدفع إليهم كثيرًا من الغث وكثيرًا أيضًا من المغالطات المدفوعة بالمآرب والأغراض !

أهرب بنفسى من طغيان هذه البرامج ، ولا أدير المؤشر إليها إلاّ أن يُفرض علىَّ فرضًا من الدائرة التى يتصادف أن أكون بها .. فلا أرى إلاّ إغراقًا فى الضحالة والسطحية ، وقلة علم بأسلوب وموضوع السؤال ، وورطة إزاء سطحية أو تفاهة السؤال يواجهها الضيف إن كان لديه حقيقة ما يُقال ، والضحية فى النهاية هو المتلقى الذى تدفع إليه هذه البرامج بالمزيد

(*) المال فى ١٣ /٢٠١٤/٨

من الشتات الذى تغذيه هذه الأسقام العليلة التى تضرب فى هذه الحوارات من جميع الاتجاهات !

ولكـــن ، ما الحـــــل ؟!

هل هناك حل لا يصطدم أو لا يصادر على حرية الإعلام وحرية الرأى والتعبير ؟! ظنى أن الحل الوحيد الذى يمكن به تلافى هذا الاصطدام والمصادرة ، لن يأتى - إن أتى - إلاّ من ذات قنوات الإعلام .. وربما كانت المهمة أسهل نسبيًا - فى القنوات الرسمية ، بيد أنها تبدو مستحيلة فى القنوات الخاصة .. فهى بيت الداء ، وهى هى المحكومة بأهداف الدعاية وجلب الإعلان ، وهى هى التى تختار العناصر التى تكل إليها تقديم هذه البرامج ، قليل من هذه العناصر القادر النافع ، وكثير منها بلا قدرة ولا نفع ولا كفاءة..

من قديم عرفنا أن تقديم البرامج المسموعة والمرئية ، كان لإذاعيين متخصصين أكفاء قادرين ، لا يصلون إلى هذه النوافذ إلاّ عبر امتحانات جدية وعسيرة تحريرية وشفوية ، وتصفيات دقيقة ، ثم تأهيل مدروس ومتواصل من خلال أجيال الأساتذة السابقين . ولكن ضاع كل ذلك ، ورأينا ولا نزال نرى من لا علاقة لهم بالإعلام يتصدرون - وبغير علم بل بجهل - نوافذ الإعلام ، ويركبون على رقاب الناس ، ويقذفون إلى مخاليق الله بسيل من الإثارات والتفاهات والسطحية والمغالطات !

فماذا بعد ، وقد بدا جليًّا أن أرباب هذه القنوات الخاصة غير قادرين وغير راغبين فى الإصلاح ، وأنه يحكمهم ويحكم العاملين لديهم المثل السائر: « إذا كان رب البيت بالدفّ ضَاربًا ، فشيمة أهل البيت الرقص !».

هل صار حتمًا علينا أن نستسلم للدفوف والرقّاصين ؟!

إن الاستسلام دمار للحاضر ومصادرة على المستقبل ، والقبول بذلك كارثة !

ظنى أنه لم يعد من أمل ، إلاّ أن يشتد عود « نقابة الإعلاميين » الوليدة، وأن تتكاتف مع نقابة الصحفيين ، فى صياغة ميثاق مكين ، تلتزم به كل قنوات الإعلام ، ويتعرض الخروج عليه إلى جزاءات حازمة صارمة تفرضها الجماعة الإعلامية ذاتها من خلال نقابتيها ، وهما لن تستطيعا القيام بهذا الدور الوطنى اللازم الواجب ، إلاّ إذا تجاوزتا فواتير الانتخابات وتخلصتا من ضواغط الخواطر والمحبات والرجوات ، وتعارفتا مع الإعلاميين على أن ضوابط الميثاق المكين ، هى حماية للإعلام ذاته مع حماية الوطن فى وقت يتعرض فيه الوطن لكثير من المؤامرات والأعاصير !

ظنى أن هذه القضية بالغة الخطورة والأهمية ، وأنها لا تحتمل القعود أو الانسلاخ أو الإبطاء .

إن واجب نقابة الإعلاميين ونقابة الصحفيين ـ إزاء هذه القضية ـ واجب وطنى يتصل بمصير الوطن ، فى حاضره ومستقبله ، وأن التوانى عن القيام به سوف يقذف إلى الحاضر بمزيد المزيد من السلبيات التى يعانى منها الوطن ، وسوف يقذف إلى المستقبل بأجيالٍ رضعت الخطأ والجهالة من خلال برامج « **التوك شو** » التى ضلّت وأضلّت ، ولا تزال للآن تقذف بكل غث إلى المتلقين ، فى مصر ، وإلى العالم الذى يسىء بما تقدمه ـ الظن بمصر والمصريين !!

* * *